

التبيان في تفسير القرآن

(97) ضوء البرق على السائرين في الصيب الذي ضربه مثلاً للمنافقين وظلام المنافقين: أن

يروا في الاسلام ما لا يعجبهم في دنياهم من ابتلاء الله المؤمنين بالضراء وتمحيصه اياهم
بالشدائد والبلاء من إخفاقهم في مغزاهم أو إدالة عدوهم أو إدبار دنياهم عنهم أقاموا على
نفاقهم وثبتوا على ضلالهم كما ثبت السائر في الصيب الذي ضربه مثلاً (إذا أظلم) وخفت ضوء
البرق فحار في طريقه فلم يعرف منهجه وقوله: (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم) إنما خص
الله تعالى ذكر السمع والبصر أنه لو شاء لذهب بهما دون سائر أعضائهم لما جرى من ذكرهما
في الآيتين من قوله: (يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت) وفي قوله (يخطف
أبصارهم) فلما جرى ذكرهما على وجه المثل عقب بذكر ذلك بأنه لو شاء أذهب من المنافقين
عقوبة لهم على نفاقهم وكفرهم كما توعد في قوله: (محيط بالكافرين) وقوله: " بسمعهم "
قدبينا فيما تقدم أنه مصدر يدل على الجمع وقيل: إنه واحد موضوع للجمع فكأنه أراد "
باسماعهم " قال الشاعر: كلوا في نصف بطنكم تعفوا * فان زمانكم زمن خميص (1) أراد
البطون ويقال: ذهبت به واذهبتة وحكي أذهب به وهو ضعيف ذكره الزجاج والمعنى: ولو
شاء الله لظهر على كفرهم فدمر عليهم وأهلكهم لانه) على كل شئ قدير: أي قادر وفيه مبالغة
قوله تعالى: يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون آية
القراءة: أفصح اللغات فتح الهاء ب " أيها " وبعض بني مالك من بني اسد رهط شقيق بن سلمة
يقولون: يا أيه الناس ويا أيتة المرأة ويا أيه الرجل ولا يقرأ بها ومن
_____ (1) من أبيات سيبويه التي لا يعلم قائلها سيبويه الخزانة